معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة التاسعة، العدد العاشر ٢٠١٤م

محمّد صالح جواد السامرائي*

الأمّـــة الوسط
قــراءة تاريخيــة في المفهــوم والمنهــج

Abstract

The most important points in this research of moderate nation are: Definition of the concept of moderation in terms of language and terminology and the Quraanic context, they are rooted origin, and means the moderation in understanding the texts without excessive nor shortening, so that a Muslim brought up on the basis of a balanced education. A clarity for contrary statements to the moderation as extremism and estrangement, and to clarify their far distance from Islam , And what they produced and deviant ideas seriously tarnished the beauty of the religion and its reality. Moderation has left pretty positive effects on the Muslim individual, including integrity and straightness, and produced positivity At the level of thinking and action, and the rush towards the good, virtue, and construction. The banner of moderation has been carried by men who they put their marks in history, were guided, renewed the fact of the true religion, and they were the best model for this nation's predecessor and the safety of their approach.

مقـــــدّمـــــة

الحمد لله ربِّ العالمين، جعل منهج الوسط سمة هذا الدين، والصلاة

* أستاذ التاريخ المشارك بكلية الإمام الأعظم الجامعة ببغداد.

والسلام على سيدنا محمد الأمين، وآله وصحبه الميامين، ومن سار على نهجهم واتّبع آثارهم إلى يوم الحشر واليقين.

وبعـــــد: فإنّ الوسطية كلمة محبّبة يميل إليها الإنسان بفطرته، وتوحي بمعان جميلة من الخيرية والبساطة والتناسق والعدل والواقعية والراحة والسعادة واليسر والأريحية والفضيلة، والبعد عن الأبهة والتعالي والتكبر والقسوة والرياء والتكلف والخشونة، والغلوّ، أو التفريط.

إنّ مساحة الوسطية واسعة، وطريق الاستقامة عريض، يسع من سار عليه رغم اختلاف صفات بني آدم، فهي لم تكن نسخة واحدة متطابقة، فكما أنّ أشكالهم وأجسامهم مختلفة غير متشابهة، فكذلك الحال بالنسبة لتوجّهاتهم وأفكارهم وآرائهم.

ويوم تضيق الأفهام بعظمة هذا الدين تزلّ الأقدام عن الطريق المستقيم، فلا يكون هو الإسلام الذي أراده الله تعالى وبيّنه رسوله ﷺ.

ومن هنا نشأت الرغبة بكتابة هذا البحث لإيفاء الأمّة الوسط بعض حقّها في إظهار جمال الإسلام وخيرية هذه الأمّة، خاتمة الأمم بخاتم دين وخاتم رسول.

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه بعد هذه المقدِّمة إلى أربعة مباحث تضمنت معنى الأمّة الوسط، وبيان ما يناقضها، ورسم بعض آثارها، وذكر نماذج من رجال الأمّة الوسط في تاريخنا المجيد، إذ كانوا أمثلة جدّدت هذا الدين عبر التاريخ، ثمّ كانت الخاتمة بأبرز النتائج، موشّحاً البحث بالمصادر والمراجع التي أفدت منها.

وقد آثرت ذكر اسم السورة ورقم الآية في الأصل لا في الهامش، كما آثرت ذكر تفاصيل المؤلف والكتاب في قائمتها آخر البحث لئلا تثقل الهوامش.

فإن وُفقت في هذا البحث فذلك محض فضل الله الكريم، وإن أخفقت فمن نفسي، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

المبحث الأول

مفهوم الأمّة الوسط

أتحدّث في هذا المبحث عن مفهوم الأمّة الوسط من حيث السياق اللغوي والاصطلاحي والقرآني، وذلك في النقاط الآتية:

أولاً: الوسطية في السياق اللغوي

يلاحظ أنّ الإسلام وسط بين المناهج، وفيه الخيرية والاتزان، وعلى ذلك دلّ كلام العرب، فقد قال ابن منظور: (الوَسَطُ بالتحريك اسمٌ لما بين طرفي الشيء وهو منه، كقولك قَبَضْتُ وسَط الحبْل، وكسرتُ وسَط الرمح، وجلستُ وسَط الدار، ومنه المثل: يَرْتَعِي وسَطًا ويَرْبِضُ حَجْرةً، أَي: يرْتَعِي أَوْسَطَ المَرْعَى وخِيارَه ما دام القومُ في خير، فإِذا أَصابهم شَرٌّ اعتَزلهم ورَبَضَ حَجرة، أَي: ناحية منعزلاً عنهم)[1].

---

١ ابن منظور (ت٧١١هـ)، لسان العرب، مادة (وسط).

ثانياً: الوسطية في السياق الاصطلاحي

يُقصد بمعنى الوسط في سياق الاصطلاح: التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير أو يأخذ أكثر من حقه على حساب الطرف الآخر[٢]، وبهذا يحصل الاعتدال في فهم الدين وتربية الناس على أساسه عند القيام بالممارسات الدينية والحركية على حد سواء، وإنّما يكون ذلك بجعل نصوص الكتاب والسُّنّة المادة المصدرية لكلّ تصور أو برنامج تربوي، إذ هي وحدها دون سواها القناة الطبيعية التي تربط الفرد بالله ربطًا مباشرًا، ويكون هذا الفهم وفق ضوابط فهم القرآن الكريم والسُّنّة النبوية المطهّرة، إذ من المعلوم أنّ مفاهيم الكتاب والسنة قاعدة عريضة في حسن الدعوة وإشاعة المحبة بين بني البشر، وإرساء روح الأخوة الإنسانية مع جميع الطوائف والأجناس، وتدعيم التعايش السلمي بين الديانات، وهذا ما أكدته آيات الكتاب كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٣].

والسنة مليئة بهذه المعاني، ولا أدل على ذلك من وثيقة المدينة وما احتوته من التأكيد على هذه المبادئ السامية، فمن ذلك قوله في أول بنوده: (هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَهْلِ يَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ، فَحَلَّ مَعَهُمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ أَنَّهُمْ

[٢] ينظر: القرضاوي، يوسف، الوسطية في الإسلام مفهومها ومظاهرها (مقال في مجلة الأمّة الوسط، ديوان الوقف السني، بغداد، العدد (٥)، السنة الثانية، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م)، ص٤٥.

[٣] سورة الإسراء: ٧٠.

أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ) [٤]، ومن ذلك قوله أيضًا وهو يوضح حقوق المعاهدين: (أَلَا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلّفه فوق طاقته أو أخذ شيئًا بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة)[٥]، وفي ذلك تأصيل لتوفير العيش الكريم لغير المسلمين في ظل المجتمع الإسلامي بغضِّ النظر عن ديانته أو جنسه.

ومن القيم الايجابية للوسطية: الهوية، الوحدة، الإتّباع، التوازن، الحرية، النصرة، الإنسانية، ومن الجوانب السلبية: الفردية، إقصاء الآخر، العنف، الغلو، الظلم، التخلف، اليأس.

فهي وسطية شاملة جامعة: وسطية في الاعتقاد والتصور، وسطية في الشعائر والتعبّد، وسطية في الأخلاق والسلوك، وسطية في النظم والتشريع، وسطية في الأفكار والمشاعر، وسطية بين الروحية والمادية، والمثالية والواقعية، والفردية والجماعية.

ثالثاً: الوسطية في السياق القرآني

جاءت الآيات الكريمة مؤكدة الوسطية ودالة عليها في ألفاظ عدة ترجع إلى أصل واحد، ومن ذلك:

---

[٤] ينظر: ابن هشام (ت٢١٨هـ)، السيرة النبوية مع شرح أبي ذر الخشني، تح: همام عبد الرحيم سعيد ومحمد بن عبد الله أبو صعيليك، ١٦٧/٢.

[٥] رواه أبو داود (ت٢٧٥هـ)، السنن، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ١٧٠/٣.

١. الأمّة الوسط:

الآية التي تُعدّ الأصل في ذلك هي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٦]، وقد جاء قبلها قوله تعالى: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٧]، فيلاحظ أنّ الله تعالى عقّب بعد ذكر هدايته سبحانه من يشاء من عباده بكون الأمّة المهديّة هي أمّة وسط، والكاف في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ تنويهٌ للربط بين جعلهم أمّة وسطًا وهدايتهم للصراط المستقيم[٨].

وقال أبو البقاء الكفوي في بيان معنى الوسط بأنّه: (اسم للمكان الذي يستوي إليه المساحة من الجوانب في المدور، ومن الطرفين في المطول، كمركز الدائرة، ولسان الميزان من العمود، ثمّ استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط، ومعنى ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾: متباعدين عن طرفي الإفراط والتفريط في كلِّ الأمور)[٩].

وفي ذلك (ثناء على المسلمين بأنّ الله قد ادّخر لهم الفضل، وجعلهم وسطاً بما هيّأ لهم من أسبابه في بيان الشريعة بيانًا جعل أذهان أتباعها سالمة من أن تُروّج عليهم الضلالات التي راجت على الأمم)[١٠]، وبيّن الرازي أنّ الوسط بمعنى التوسُّط في الدين بين المُفْرِطِ والمُفَرِّطِ، والغالي والمقصّر في

---

[٦] سورة البقرة: ١٤٣.

[٧] سورة البقرة: ١٤٢.

[٨] ينظر: الصلّابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص٦٣.

[٩] أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، ص١٥١٠.

[١٠] ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٨/٢.

الأشياء؛ لأنّهم لم يغلوا كما غلت النصارى فجعلوا المسيح ابن الله، ولم يقصّروا كما قصّرت اليهود فبدّلوا الكتب واستخفّوا بالرسل[١١].

ومن اللطائف أنّ ورود هذه الآية جاء في وسط سورة البقرة تمامًا، فرقمها (١٤٣)، وعدد آيات السورة (٢٨٦)!.

٢. كلمة ﴿أَوْسَط﴾:

جاء في التنزيل في وصف الإطعام المترتّب على كفّارة اليمين: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾[١٢]، قال القرطبي: (الوسط بمعنى الأعلى والخيار، وهو هنا مترلةٌ بين مترلتين، ونصفٌ بين طرفين).[١٣]

٣. الاستقامة:

جاءت آيات كثيرة في الدلالة على الاستقامة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[١٤]، وقد فسّره الإمام الآلوسي (بأنّه التوسُّط بين الإفراط والتفريط، بحيث لا يكون ميل إلى أحد الجانبين قيد عرض شعرة، ممّا

---

[١١] ينظر: فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب ٨٩/٤.

[١٢] سورة المائدة: ٨٩.

[١٣] القرطبي (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن ١٧٩/٦.

[١٤] سورة هود: ١١٢.

لا يحصل إلّا بالافتقار إلى الله تعالى ونفى الحول والقوة بالكلية)[١٥]، وبيّن البيضاوي أنّ الاستقامة شاملة للعقائد كالتوسُّط بين التشبيه والتعطيل، وشاملة للعبادات من حيث القيام بها من غير تفريطٍ وإفراطٍ مفوِّتٍ للحقوق ونحوهما، وهي في غاية العسر[١٦].

والاستقامة من أعظم الكرامات للعبد، وهي تعني الدوام واللزوم لطريق الإسلام وعدم الحيدة عنه بحال، فعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: (قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ)[١٧].

٤. التوسط بين طرفين:

دلت آيات القرآن على التوسط بين الأشياء، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[١٨]، وقوله جلّ ذكره: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[١٩]، وقوله عزَّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ

---

[١٥] الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٥٢/١٢.

[١٦] ينظر: البيضاوي (ت٦٩١هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل٢٦٦/٣.

[١٧] رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (١٥٤١٦)، وإسناده صحيح.

[١٨] سورة الإسراء: ٢٩.

[١٩] سورة الإسراء: ١١٠.

وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[٢١]، وهذه الدلالات كلّها تعضد وتوضّح منهج الوسطية في القرآن الكريم، وأنّ التوسط أمر محمود ومشروع عمومًا.

٥. الوسطية والصراط المستقيم:

وُصف الصراط بالمستقيم في آيات كثيرة منها: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ وقوله: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾[٢٢]، وقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾[٢٣]، وفي ذلك إيماءٌ إلى أنّ الإسلام واضح الحُجّة قويم المَحجّة، لا يَهْوى أهلُه إلى هُوّة الضلالة، وقد بين الصلابي أنّ العلاقة وطيدة بين الصراط المستقيم والوسطية حيث ذُكِرا مجتمعَين في سورة الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فحينما قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ عرّفه بقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ثمّ حدّده فقال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

---

[٢٠] سورة الفرقان: ٦٧.

[٢١] سورة لقمان: ١٩.

[٢٢] سورة الأنعام: ١٦١.

[٢٣] سورة الأنعام: ١٥٣.

وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فجعل الصراط المستقيم طريق الخيار، وهو طريق الذين أنعم عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وهو بين طريقيّ المغضوب عليهم والضالّين[٢٤]، ولا ينفك العبد كل يوم من الدعاء بالهداية إلى هذا الصراط وفي أعظم شعيرة بعد الشهادتين وهي الصلاة بما لا يقل عن سبع عشرة مرة في الفرائض فقط، وما ذلك إلا للتأكيد على أمر الهداية إلى صراط الله المستقيم الذي هو الوسط، وأنّ المسلم بحاجة مستمرة للبقاء على خط الهداية الضامنة للصراط المستقيم الوسط.

٦. كلمة ﴿سَوَآءٍ﴾:

وظّف القرآن الكريم هذه الكلمة للدلالة على الوسط في دعوة أهل الكتاب إلى الدين الحقّ كما هي طبيعة هذا الدين المحب لهداية الناس أجمعين، والفيء إلى جادة الحق والصواب بالأسلوب المحبب بالحكمة واللطافة، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٢٥]، ومعنى: ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ أي: عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها، وهي إفراد الله تعالى بالعبادة بلا وثن ولا صنم ولا طاغوت ولا نار ولا شيء، وإن لم يقبلوا فاشهدوا أنتم على

---

[٢٤] ينظر: الصلّابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص٦٣.

[٢٥] سورة آل عمران: ٦٤.

استمراركم على الإسلام[٢٦]، أي البقاء على دين الوسط، وقوله تعالى:﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾[٢٧]، وقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾[٢٨]، بيّن جمعٌ من علماء السلف أنّ معنى: ﴿سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ وسطها[٢٩]، وهكذا نرى كيف أنّ الوسط هو الأوفق في الحق والصواب وهو الأجدر فعله الفكر والسلوك والعقائد وسائر التصرفات والأحكام، فالسواء هنا سواء الدعوة إلى الإسلام بجمال وسطيته وشمس عدالته وجميل تلطفه وأسلوب حكمته.

المبحث الثاني

نواقض الأمّة الوسط

أتناول في هذا المبحث أبرز المصطلحات المناقضة للوسطية، إذ أنّ معرفة ذلك ضروري، وبالضدِّ تتميّز الأشياء، وذلك في النقاط الآتية:

أولاً: التطرُّف

١. تعريفه لغةً:

التطرُّف لغةً: مشتقٌّ من الطرف، يقال: طَرِفَتِ الناقة بالكسر إذا تَطَرَّفت، أَي: رَعَتْ أَطرافَ المرعى و لم تَخْتَلِطْ بالنوق، وناقة طَرِفة لا تثبت

---

[٢٦] ينظر: ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم ١/٣٥.

[٢٧] سورة الصافات: ٥٥.

[٢٨] سورة الدخان: ٤٧.

[٢٩] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٩، ١٤٨.

على مرعى واحد، والطرَفُ بالتحريك الناحية من النواحي، والطائفة من الشيء، والجمع أَطراف[٣٠].

فمن هذا يتبيّن أنّ التطرُّف معناه: الوقوف في الطرف، فهو يقابل التوسُّط والاعتدال، ومن ذلك قول أبي تمام:

(كانَتْ هيَ الوسَطَ الممنوعَ فاستَلبتْ ما حَوْلَها الخيلُ حتى أصبحَتْ طَرَفَا)[٣١]

٢. تعريفه اصطلاحاً:

عُرّف التطرّف اصطلاحًا بأنّه: (سوء الفهم للنصوص الدينية الذي يؤدّي إلى التشدّد والغلوّ)[٣٢]، أو هو التنطّع والتعمّق في أداء العبادات الشرعية، وهو مجاوزة الحدّ في الأقوال والأفعال، ويدخل فيه الزيادة على المشروع والتزام ما لم يلزم به الشارع، والورع الفاسد[٣٣]، ويطلق عادة على بعض الأفراد الذين يلجؤون إلى التفسير عن جهل في أمورهم الدينية ويضللون الناس عن الصواب.

٣. العلاقة بين المعنيين:

إنّ العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي واضحة، فكلُّ شيء له وسط وطرفان، فإذا جاوز الإنسان وسط شيء إلى أحد طرفيه قيل له:

---

[٣٠] ينظر: الجوهري (ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ١٣٩٤/٤، ولسان العرب، ١٣/٩، كلاهما في مادة (طرف).

[٣١] أَبو تمّام الطائي (ت٢٣٢هـ)، ديوانه، ضبط معانيه وشروحه وأكملها: إيليا الحاوي ٢٥٦/١.

[٣٢] فرج، عبد اللطيف، تربية الشباب للبعد عن التطرُّف والإرهاب، ص٩.

[٣٣] ينظر: الصاوي، صلاح، التطرُّف الديني الرأي الآخر، ص ٨-٩.

تطرّف في هذا الشيء، أي: جاوز حدّ الاعتدال ولم يتوسط، وعلى ذلك فالتطرُّف يصدق على التسيّب، كما يصدق على الغلوّ، وينتظم في سلكه الإفراط ومجاوزة الحدّ، والتفريط والتقصير على حد سواء؛ لأنّ في كلٍّ منهما جنوحًا إلى الطرف وبعدًا عن الجادة والوسط، فالتقصير في التكاليف الشرعية والتفريط فيها تطرّف، كما أنّ الغلوّ والتشدّد فيها تطرّف؛ لأنّ الإسلام دين الوسط والوسطية[٣٤].

وإنّ الجنوح عن هذه المعاني هي بعد عن سواء السبيل وأعدل الطريق، فتقع بسبب ذلك من الانحرافات والتصرفات ما لا تُحمد عقباها، ولا تسلم من إثم جريرة الظلم والقهر دون وجه حق.

٤. خطورة التطرف:

إنّ مكمن الخطورة في التطرّف هو أنّ الباعث عليه هو ما يترغه الشيطان بين العباد ويأمر به، قال ابن القيم: (وما أَمَر الله بأمر إلّا وللشيطان فيه نزغتان: إمّا إلى تفريط وإضاعة، وإمّا إلى إفراط وغلوّ، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أنّ الجافي عن الأمر مضيّع له، فالغالي فيه مضيّع له، هذا بتقصيره عن الحدّ وهذا بتجاوزه الحدّ)[٣٥].

وذلك أنّ الشيطان يشمُّ قلب العبد ويختبره ويخرجه عن الاعتصام بالسُّنّة إن رأى فيه داعية للبدعة، أمّا إذا رأى فيه حرصًا على السُّنّة فيأمره

---

[٣٤] ينظر: مرزوق، عبد الصبور، مفاهيم إسلامية، ص٨٨.

[٣٥] ابن القيم (ت٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: محمد حامد الفقي ٤٩٦/٢.

بالاجتهاد والجَور على النفس مسوّلاً له أنّ هذه طاعة وزيادة عبادة[٣٦].

والله تعالى أمرنا بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، في أكثر من موضع في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾[٣٧]، وفي تنفيذ أمر الله هذا كان المسلمون مندرجين تحت نزغتي الشيطان فيه، فمنهم من أفرط في اتّباع هذا الأمر الإلهي العظيم، ومنهم من فرّط في ذلك بتأويل يراه مقبولاً بحكم العقل والرأي، فكان حظّه من الكتاب والسُّنّة الشيء اليسير.

ومن أجل ذلك حفظ الله القرآن من التحريف والتبديل فقال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٣٨]، والله تعالى قد يسّر القرآن للقراءة والعمل والتطبيق فقال: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧،٢٢،٣٢،٤٠]، إذ تكرّرت هذه الآية أربع مرات في سورة القمر، وجاءت في كلِّ مرة تعقيبًا على ما ذكر من قصص الأنبياء مع أقوامهم، وما أصاب التديّن من انحراف، وأهمّية إدراك السنن التي حكمت مسيرة النبوة عبر التاريخ، وكيف أنّ إدراكها ميسّر إذا توفرت عزيمة الإطّلاع والادّكار والاتّقاء.

---

[٣٦] ينظر: المصدر نفسه، ١٠٨/٢.

[٣٧] سورة محمد: ٣٣.

[٣٨] سورة الحجر: ٩.

بل لم يقتصر حفظ الله على النص الديني، وإنّما امتدَّ إلى حماية الممارسة أيضًا من خلال السيرة والسُّنّة المطهرة، وبذلك لم يترك الفهم والتطبيق والتنزيل على الواقع لرؤى واجتهادات البشر، وإنّما كانت السيرة والسُّنّة معيار الفهم والتصويب والإطار المرجعي له[٣٩].

فتبيّن أنّ أصل كلّ تطرّف سواء كان في التصور والاعتقاد أو التعبّد والتنسّك، أو الأخلاق والسلوك، أو المعاملة والتشريع، إنّما منشؤه التطرُّف في الأخذ من المصادر النقلية والعقلية، فبين متشدّدٍ في الأخذ من المصادر النقلية، ومتساهل في الأخذ من المصادر العقلية حصل التطرُّف في كلٍّ ما ذُكر، وابتعد كلا الفريقين عن الصراط المستقيم الذي هو منهج الإسلام وصفته[٤٠].

والتطرُّف ليست مسألة مستحدثة في الأمّة المحمديّة، بل هي ضاربة في أطناب التاريخ ومع جميع الديانات، إذ أنّ (من الحقائق الظاهرة لكلٍّ من تتبّع دعوات الرسل تنوّع استجابات الناس لها، وتفاوتهم في مقدار الاستجابة لهم بين: متمسكٍ بالحقّ مستقيم على طريقه، ومفرِّطٍ زائغ مضيّع لحدود الله، وغالٍ تجاوز حدود الله، وكلٌّ أولئك وُجدوا فيمن سبق أمّة محمد ﷺ)[٤١].

وبهذا يتبين أنّ التطرُّف في فهم النصوص سبب مباشر للوقوع في الإفراط والتفريط، أو الغلوّ والجفاء، وفي كل ذلك ابتعاد عن طريق الخير القويم.

---

[٣٩] ينظر: الأنصاري، فريد، التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، كتاب الأمّة، قطر، العدد ٤٧، جمادى الأولى، ١٤١٦هـ، السنة (١٥)، مقدّمة عمر عبيد حسنة، ص ١٧-٢٠.

[٤٠] ينظر: القرضاوي، يوسف، الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرُّف، ص٢٣و٣٠.

[٤١] اللوَيحق، عبد الرحمن بن مُعلاّ، مشكلة الغلوّ في الدين في العصر الحاضر ٣٤/١.

ثانياً: الغلوّ

١. تعريفه لغة:

عُرّف الغلو في اللغةً بتعريفات منها ما قاله الجوهريُّ: (غلا في الأمر يغلو غلوًّا، أي جاوز فيه الحدّ)[٤٢]. وقال المقري: (غَلا في الدين غُلُوًّا من باب قعد تَصَلّب وشَدَّد حتى جاوز الحد)[٤٣].

٢. تعريفه اصطلاحاً:

ذكر ابن حجر أنّه: المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحدّ، وفيه معنى التعمّق، يقال غلا في الشيء إذا جاوز العادة[٤٤].

وقال الصلاّبي: (هو مجاوزة الحدّ في الأمر المشروع، وذلك بالزّيادة فيه أو المبالغة إلى الحدّ الذي يُخرجه عن الوصف الذي أراده وقصده الشَّارع)[٤٥].

٣. نهي الشارع عن الغلو:

وقد نهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلوّ فقال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾[٤٦]، وقد كان (غُلوّ اليهود تجاوزُهم الحدّ في التّمسك بشرع التّوراة بعد رسالة عيسى ومحمد عليهما الصّلاة والسّلام، ومن غلوّ النّصارى دعوى إلهيّة عيسى وتكذيبُهم

---

[٤٢] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (غلا).

[٤٣] الفيومي (ت٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مادة (غلا).

[٤٤] ينظر: ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٤٤/١٣.

[٤٥] الصلّابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص٤٦.

[٤٦] سورة النساء: ١٧١.

محمدًا ﷺ)[٤٧]، وقال السمرقندي في قوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ أي: (لا تفرِّطوا في دينكم فإنّ دين الله بين المقصّر والغالي)[٤٨]، ومعنى هذا وسطية دين الله تعالى بين طرفين مذمومين وجانبين محذورَين.

(فالغلوّ في حقيقته حركة في اتّجاه القاعدة الشرعية والأوامر الإلهية، ولكنّها حركة تتجاوز في مداها الحدود التي حدّها الشارع)[٤٩]، ومن الغلوّ ما يكون متعلقًا بفقه النّصوص، كتفسيرها تفسيرًا متشدّدًا يتعارض مع السِّمة العامَّة للشَّريعة ومقاصدها الأساسيَّة فيشدّد على نفسه وعلى الآخرين، فهو مبالغة في الالتزام بالدين، وليس خروجًا عنه في الأصل، أي هو نابع من الرغبة في الالتزام به[٥٠].

٤. خطورة الغلو:

إنّ من أشدِّ الغلوّ خطرًا وأعظمه ضررًا ما كان متعلقًا بكليات الشريعة وأمّات مسائلها، إذ هو المؤدّي إلى الشقاق والانشقاق، وهو المُظهر للفرق والجماعات الخارجة عن الصراط المستقيم[٥١].

فلا يبرح الغالي يندّ في فهم الدين عن القواعد العلمية المنهجية الهادية لطريقة التفكير، فيسلك سبيلاً غير سبيل المؤمنين، وإن حسنت نيّته فإنّ ذلك

---

[٤٧] ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٩٠/٦.

[٤٨] أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي (ت٣٧٥هـ)، بحر العلوم، تح: محمود مطرجي ٣٨٤/١.

[٤٩] أبو المجد، أحمد كمال، التطرُّف غير الجريمة (مقال في مجلة العربي الكويتية، عدد ٢٧٨، ص٣٦-٣٧).

[٥٠] ينظر: الغلوّ في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، ص٨٣-٨٤.

[٥١] ينظر: الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص٤٩.

لا يغني عن المنهج السديد، ولا يكون بديلاً له، وكلّ من ندّ عن الدين الحقّ اضطربت صلته به، وذلك تورّط في العلاقة بالدين من حيث الفهم والاعتقاد والسلوك[٥٢].

ومن الألفاظ المقاربة للغلو: التنطّع والتشدّد، فقد ورد عن النبي ﷺ أنّه قال: (هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ)، قالها ثلاثًا[٥٣]، قال النووي: (أي المتعمّقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم)[٥٤]، وقال النبي ﷺ أيضًا: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ)[٥٥]، قال ابن حجر: (والمعنى لا يتعمّق أحدٌ في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلّا عجز وانقطع فيُغلَب، وقال ابن المنير: (كلُّ متنطّع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنّه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدّي إلى الملال أو المبالغة)[٥٦]، وفيه تنبيه إلى أنّ العبد ربما قصد الخير والاستزادة منه وأتعب نفسه فيه، ولا يدري أنّ ذلك من قبيل الاستدراج من الشيطان المفضي إلى الحرمان من الخير اصلًا.

وبهذا يتضح جليًا أنّ المغالاة بجميع صورها وما يقارب معناها مؤدّاها واحد، وهو البعد عن الدين الوسط، والابتعاد عن الأمّة الوسط، لما تُحدِثه من سلوك خاطئ وفعل مشين يؤول إلى قلب الموضوع وعكس المشروع لما فيه من ارتكاب الممنوع.

---

[٥٢] ينظر: اللويحق، عبد الرحمن بن مُعلاّ، الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، من مقدّمة زين العابدين الركابي، ص أ،ج.

[٥٣] رواه مسلم (ت٢٦١هـ)، الصحيح، حديث رقم (٢٦٧٠)، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون.

[٥٤] النووي (ت٦٧٦هـ)، شرح صحيح مسلم ٤٦١/١٦.

[٥٥] رواه البخاري (ت٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح، حديث رقم (٣٩)، كتاب الإيمان، باب الدِّينُ يُسْرٌ.

[٥٦] ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٢٧/١.

ثالثاً: الجفاء

١. تعريفه لغةً:

بيّن ابن فارس أنّ الجيم والفاء والحرف المعتلّ يدلّ على أصلٍ واحد وهو نبوٌّ الشيء عن الشيء، ومن ذلك: جفوتُ الرجل أجفوه، وهو ظاهر الجفوة، أي: الجفاء، وجفا السَّرج عن ظهر الفرس، وأجفيته أنا، وكذلك كلّ شيء إذا لم يلزم شيئًا يُقال جفا عنه يجفو[٥٧].

وقال الزبيدي: (جفا جفاءً وتجافى: لم يلزم مكانه، كالسرج يجفو عن الظهر، وكالجَنْب يجفو عن الفراش)[٥٨]، وفي التَّنـــزيل: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾[٥٩].

٢. تعريفه اصطلاحاً:

يمكن تعريف الجفاء اصطلاحًا: بأنّه (النُبوّ والترك والبُعد، وهو غالبًا ما يحدث خلاف الأصل والعادة، وأكثر ما تستعمل كلمة الجفاء لما هو محرم منهيّ عنه، كالجفاء بما يقابله الصلة والبرّ، والجفاء الذي هو من الشّدة والغلظة، ونحو ذلك)[٦٠].

---

[٥٧] ينظر: ابن فارس (ت٣٩٥هـــ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، مادة (جفو).

[٥٨] الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـــ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، مادة (جفو).

[٥٩] سورة السجدة: ١٦.

[٦٠] الصلّابي، الوسطية في القرآن الكريم، ص٥٦.

٣. خطورة الجفاء:

تتبيّن خطورة الجفاء بكونه تجاوز للبيان النبوي، أو تجاوز للسُّنّة وصحيح المأثور بعامّة، حيث يفتح الباب على مصراعيه للرأي والاجتهاد والهوى والتأويل والتطبيق، وبهذا التجاوز (يتّسع الخرق فتنتقل القدسية من القرآن إلى السُّنّة، ويصبح القرآن عند بعضهم للتبرك فقط، ومن ثم تنتقل القدسية من القرآن والسُّنّة إلى أقوال واجتهادات البشر بحجّة أنّها مأخوذة من الكتاب والسُّنّة)[٦١]، وربما تحجّج البعض بعدم إمكانهم فهم الكتاب والسنّة؛ الأمر الذي يُلجؤهم إلى الاكتفاء برجال أصابوا أم أخطؤا!

إنّ الالتباس بين قيم الدين – الوحي المعصوم– وفهم الناس للدين الذي يجري عليه الخطأ والصواب، حال دون طلاقة الفكر في الاجتهاد والتقويم والمراجعة، ظنًّا ووهمًا أنّ نقد الاجتهاد أو نقد فهوم الناس هو نقد لقيم الدين نفسه، وأصبحت الفكرة الشائعة: أنّ نقد بعض ممارسات الأشخاص وفهومهم للدين هو نقد لما يحملون من قيم ومبادئ معصومة، وأنّ هذا النقد قد يوصل صاحبه إلى الكفر، حيث الزعم بأنّ الذي ينتقد حملة الشريعة ينتقد الشريعة، والذي ينتقد الشريعة يكفر بمترلها[٦٢].

وقد نهى النبي ﷺ عن التطرُّف والغلوّ والجفاء وكلِّ ما يُبعد عن الوسط، فقال في فهم القرآن الكريم والتعامل معه: (تَعَلَّمُوْا الْقُرْآنَ، فَإِذَا عَلِمْتُمُوْهُ فَلاَ تَغْلُوْا فِيْهِ، وَلاَ تَجْفُوْا عَنْهُ، وَلاَ تَأْكُلُوْا بِهِ، وَلاَ تَسْتَكْثِرُوْا بِهِ)[٦٣].

---

[٦١] الأنصاري، فريد، التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، مقدِّمة عمر عبيد حسنه، ص٣٠.

[٦٢] ينظر: المصدر نفسه، ص١٣.

[٦٣] رواه الإمام أحمد (ت٢٤١هـ)، المسند، حديث رقم (١٥٧٥١)، ٤٤٤/٣، وقال شعيب: إسناده صحيح.

فقوله ﷺ: (فلا تغلوا فيه) أي: لا تجاوزوا حدّه من حيث لفظه أو معناه بأن تتأولوه بباطل، أو المراد: لا تبذلوا جهدكم في قراءته وتتركوا غيره من العبادات، وقوله: (ولا تجفوا عنه) أي: لا تَبعُدوا عن تلاوته، فالجفاء عنه تقصيرٌ، والغلوّ فيه تعمّقٌ ، وكلاهما شنيع[٦٤].

فالجفاء إذن إهمال في العموم وهو مذموم، لما يجره من التجافي عن النصوص والاستهانة بها، ثم يتحول ذلك إلى عدم احترام قدسيتها ثمّ تقديم ما دونها عليها، وهذا بحد ذاته خروج عن مفهومية الوسط وجنوح إلى الغلط بكل تأكيد.

المبحث الثالث

آثار منهج الأمّة الوسط

أبيّن في هذا المبحث آثار منهج الوسط على تربية الفرد المسلم، إذ ينعكس إيجابياً على استقامته سلوكياً وإنتاجياً وتطويرياً ممّا يجعله نافعاً لأمّته العريقة ووطنه الحبيب، وذلك في النقاط الآتية:

أولاً: التوجه المستقيم:

١- تُعــدّ الاستقامة ثمرةً للوسطية، وحين تتبّع أماكن ورود الاستقامة في القرآن الكريم يتّضح أنّها ذُكرت عشرات المرات مقرونة بكلمة الصراط،

---

[٦٤] ينظر: المنّاوي (ت١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ضبط وتصحيح: أحمد عبد السلام ٦٤/٢، وينظر للمنّاوي أيضاً: التيسير بشرح الجامع الصغير ٧٠٣/١.

وجاءت بصيغ مختلفة، فمنها: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]، ومنها: ﴿صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[٦٥].

والصراط يدل على معنى الحق الذي يبلغ بمدركه إلى الفوز برضاء الله تعالى، وهو الذي جاء الإسلام بطلبه، والمستقيم الذي لا عوج فيه ولا تعاريج، وهو الجادّة التي تكون أقرب إلى المكان المقصود، فلا يضلّ سالكها ولا يتردّد ولا يتحيّر[٦٦]، بل يسير بثقة واستقامة وعلوّ همة؛ لعلمه بسلامة سلوكه حتى يبلغ الغاية المنشودة.

٢- الاستقامة تمثِّل الخيريَّة وتحقّق معناها، وهي وسط بين الغلوّ والجفاء، أو الإفراط والتَّفريط، وهذا يُحقّق وصف البينيَّة وشرطها الذي هو من لوازم الوسطيَّة التي هي صفة الأمّة الوسط، والتي به نالت خيريّتها على غيرها من الأمم، وكان لها العلوّ على سواها لما أحدثته من الاستقامة وأقرّته من العدل والوسط.

٣- إنّ علماء الأمّة أدلاّء على الله تعالى بحسن تربيتهم، وصفاء توجّههم، وعلمهم بقواعد الشرع وفهم مقاصده، فهم ربّانو السفينة يُبحرون بأتباعهم نحو شاطئ الأمان وبرّ السلامة في التربية المنضبطة والسلوك المستقيم التزامًا بالمنهج الموحى إلى النبي ﷺ في الهداية، فقد قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ

[٦٥] سورة الأعراف: ١٦.

[٦٦] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١/١٩٠-١٩١.

وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٦٧]، فالقرآن الكريم روح الروح إذ به تحيى الروح، وبحياة الروح يحيى الجسد الذي لولا الروح لأصبح جثة هامدة، وكذلك الروح بدون روح الوحي جثة هامدة!

ثانياً: التوجه الإنتاجي:

يقوم منهج الوسط من الناحية التربوية على توجيه الفرد المسلم نحو الفاعلية والإنتاج، والعمل المثمر تجاه الأمّة والوطن، ومن أهمّ هذه الآثار ما يأتي:

١- إنّه يعمل على إنتاج العقلية القيادية الفاعلة في مجالها، والجندية المبادرة المعطاءة في مجالها أيضًا؛ لأنّ طبيعة العمل بالنصوص تُكسب الفرد قوّة منهجية ذاتية، ودربة على العصامية، فتكوّن فيه الثقافة الجيدة في كيفية تفسير النص الشرعي أو شرحه، وفي ذلك إشعار له أن يكون ذا عطاء، لا أن يَستهلك فحسب، ثمّ إنّه يقوم بمراجعة ذاتية داخلية، من أجل العمل على استخدام طاقاته وتطويرها، وهكذا يبتدئ تكوُّن العقلية الإنتاجية[٦٨]، وهي بلا شك متأتية من فهم المنهج الوسط والتزامه.

---

[٦٧] سورة الشورى: ٥٢.

[٦٨] ينظر: الأنصاري، فريد، التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، ص٤٦.

٢- إنّه يوضح فهم النفس الإنسانية والمجتمع الإنساني والواقع المتطوّر باعتباره مرجعاً يساعد على تنزيل الحقائق الإسلامية المستفادة من النصوص الشرعية في النفس والمجتمع، فنصوص القرآن والسُّنّة النبوية هي المصادر الأساسية للعمل التربوي، وحينما تكون كذلك نضمن السلامة من كثير من الأمراض التربوية، فهما صمام الأمان الواقي من كلِّ ضلال[٦٩]، وبدون ذلك يكون الانحدار بسوء التقدير للأمور المفضي إلى الهاوية.

٣- إنّه يذكي العقل وينمّي القدرات ويؤهّل الطاقات، فلن تُعدم هذه التربية من إيجاد العناصر الكفوءة، ولا يعتورها النقص في الطاقات سواء كانت على مستوى القيادة أم على مستوى الفرد، أمّا العملية التربوية المناقضة للوسطية فإنّما مثَلها كمثَل رماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، لا تجد فيها بركة ولا رسوخًا في العلم ولا ملكة عقلية منتجة، أو هو سراب يحسبه الظمآن ماءً فإذا به هواء في شبَك.

ثالثاً: التوجه التطويري والتغييري

إنّ التغيير من سنن هذا الكون التي لا تتبدّل ولا تتغير، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[٧٠]، ومن آثار منهج الأمّة الوسط في ذلك ما يأتي:

---

[٦٩] ينظر: المصدر نفسه، ص٤٥.

[٧٠] سورة الرعد: ١١.

١- يبدأ التغيير في مجالين: مجال الفكر (العقل)، ومجال المشاعر(القلب)، وهناك ارتباط جذري بين هذين المجالين، فعندما يصحّ عالم الأفكار وتصبح الفكرة المحفزّة قوية وملحّة فإنّها تُشعل داخل النفس طاقاتها، وتحرك فيها تلك المشاعر الهميمة، وتتولد القوة الدافعة أو المكنة النفسية، وبالتالي تنطلق طاقات الإنسان في محاولته لتحقيق فكرته على أرض الواقع بصورة جذرية، ولاسيّما في زمن المادية والغزو الفكري والأخلاقي والسياسي والاجتماعي والفُرقة والاختلاف في الوقت المعاصر.

٢- الوسط والاعتدال في طريق التغيير يرسم الريادة والسيادة بشكل متدرج، إذ يبدأ بسلوك الفرد بفكره الوسطي المعتدل، المعتز بهويته وانتمائه، المحبِّ لبلده وأمّته، الصالح في نفسه، المصلح لغيره، فالمواجهة لا تكون بإدانة الآخرين، والنظر إلى الخارج دائماً، وإنما تبدأ حقيقةً من النظر إلى الداخل؛ لملء الفراغ بعمل بنائي مستمر من جهة، وتحصين الذات وتسليحها بالمقاييس الثقافية السليمة من جهة أخرى، إضافة إلى الإنتاج الفاعل في مناهج الفهم والسلوك وآلياته.

٣- لمنهج الوسط دور مهمّ في معالجة الأزمات الخمسة التي تمرُّ بها الأمّة الإسلامية بشكل عام، وهي: أزمة الفكر، أزمة السلوك، أزمة التخلّف، أزمة الفاعلية، أزمة القيادة، وهي مُرتّبة حسب الأولوية، فلا بدّ أولاً من إيجاد الوحدة الفكرية بين العاملين في الساحة الإسلامية، فهي المنطلق لكلِّ تغيير على أرض الواقع، مع وجود مساحة من أدب الحوار المتبادل على طاولة المحبة والاحترام، بعيداً عن التعصّب بكلِّ أشكاله وإشكالياته.

وبهذه الآثار الجميلة تكون الأمّة الوسط على خير كثير من تحقيق قدر أكبر من دورها وفاعليتها في الواقع المعاصر، وهي الأمّة الخيرية في ميزان التوازن الكوني.

المبحث الرابع

نماذج تاريخية من رجال المنهج الوسط

أحببت هنا أن أذكر – بشكل مقتضب– نماذجَ تاريخية من الذين طبّقوا منهج الوسط في استقائهم من المصادر الأصلية، فمنهج الإسلام هو الاستقامة دون إفراط ولا تفريط، وهو دين الوسط دون غلوّ ولا تقصير.

وقبل بيان هذه النماذج أضرب مثالاً عملياً دلَّ على مرونة منهج الإسلام الوسط وسعته للاجتهادات والتوجّهات، وهو يبيّن فعل الصحابة ﷺ في سياسة التعامل مع النصوص الشرعية، فقد أمر النبي ﷺ في غزوة بني قريظة أصحابه فقال: (لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ) فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمْ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُم [٧١].

فسلك الصحابة ﷺ في فهم كلامه ﷺ مسلكين: قسمٌ أخذ بسياسة المفهوم والقياس ومراعاة المعنى، وقسمٌ أخذ بسياسة ظاهر النص، وقد وسعهم

---

[٧١] رواه البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث (٤١١٩)، كتاب المغازي، باب مَرجِع النبي ﷺ من الأحزاب ومَخرَجه إلى بني قريظة ومحاصرته إيّاهُم، ومسلم، الصحيح، رقم الحديث (١٧٧٠)، كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو وتقديم أهمّ الأمرين المتعارضين.

ذلك، و لم يعنّفهم النبي ﷺ إذ (لا يُعنَّف المجتهد فيما فعله باجتهاده إذا بذل وسعه في الاجتهاد، وقد يُستدلُّ به على أنّ كلَّ مجتهد مصيب)[٧٢].

وقد اخترت هذه النماذج من مدارس ظاهرها الاختلاف وحقيقتها الاتّفاق من بين أمثلة كثيرة من العلماء العاملين والصالحين المصلحين في هذه الأمّة الوسط.

وهذه النماذج عظيمة التأثير في حياة الأمّة الإسلامية، وحقُّ كلِّ نموذج منها كتب مستقلة تستوعب أفكارهم وفلسفتهم في المنهج الوسطي، وإنما ذكرناهم من باب ضرب المثال فيما يحتمله بحث مختصر كهذا لا بقصد التوسعة والاستيعاب.

أولاً: الإمام ابن تيمية رحمه الله:

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام أبو العباس الحرّاني الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، كان كثير البحث في فنون العلم، داعية إلى إصلاح الدين، آية في التفسير والأصول والفقه وعلم العقائد، صاحب المؤلفات الكثيرة، منها: تفسير ابن تيمية، السياسة الشرعية، الفتاوى، الجمع بين النقل والعقل، وغيرها، وكان فصيح اللسان، أفتى ودرّس وهو دون العشرين.[٧٣]

ولقد بيّن ابن تيمية المقياس العلمي الدقيق الذي اتّبعه العلماء في قياس قرب المسلم وبعده عن الشريعة، وذلك بالعرض على الكتاب والسُّنّة وما كان عليه سلف الأمّة، إذ يقول: (فأمّا المستقيمون من السالكين كجمهور مشايخ السَّلَف: مثل الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان

---

[٧٢] النووي، شرح صحيح مسلم ٣٤١/١٢.

[٧٣] ينظر: الزركلي، خير الدين (ت١٣٩٦هـ)، الأعلام ١٤٤/١.

الداراني ومعروف الكرخي، والسَّريّ السقطي، والجنيد بن محمد، من المتقدمين، ومثل الشيخ عبد القادر والشيخ حمّاد والشيخ أبي البيان وغيرهم من المتأخرين، فهم لا يُسوّغون للسالك ولو طار في الهواء أو مشى على الماء أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين، بل عليه أن يفعل المأمور ويدع المحظور إلى أن يموت، وهذا هو الحقُّ الذي دلَّ عليه الكتاب والسُّنّة وإجماع السَّلَف)[٧٤].

وقال متحدّثًا عن أصناف الناس في اعتبار صفة أولياء الله أنّهم: (ثلاثة أصناف: طرفان ووسط، فمنهم من إذا اعتقد في شخص أنّه وليٌّ لله وافقه في كلِّ ما يظنُّ أنّه حدّثه به قلبه عن ربه، وسلّم إليه جميع ما يفعله، ومنهم من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهدًا مخطئًا، وخيارُ الأمور أوسطُها، وهو أن لا يجعل معصومًا ولا مأثومًا إذا كان مجتهدًا مخطئًا فلا يُتبع في كلِّ ما يقوله ولا يُحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده)[٧٥].

وفي ذلك يقول حلمي: (إنّ ابن تيمية لا يُعنى باختلاف الأسماء، بقدر ما يهتمّ بمدى اتّفاق أصحابها مع الشرع مهما اختلفت أسماؤهم: قرّاءً، أو زهّادًا، أو نسّاكًا، أو صوفيةً... ما داموا يسيرون في طريق السالكين، ويتّبعون مناهج القاصدين)[٧٦].

---

[٧٤] ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ١٠/٥١٦-٥١٧.

[٧٥] آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز، شرح كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٦٥-٦٦.

[٧٦] حلمي، مصطفى، ابن تيمية والتصوف، ص٣٧.

ويقول البناني: (وقد ظهر لي أنّ الإمام ابن تيمية لم يكن يعادي التصوف على إطلاقه، بل أنكر ما لا يوافق الكتاب والسُّنّة، وما لم يكن مأثورًا عن أحد من الصحابة والتابعين، بطريقته العلمية التريهة التي لا تعصّب فيها ولا محاباة، بل لقد بيّن في كثير من الأحيان أسباب الاشتباه في بعض الموضوعات التي دفعت بعض الصوفية إلى التصوّرات الخاطئة فيها، ثم بيّن الإمام أنّ علم السلوك موجود في القرآن الكريم والسُّنّة النبوية المطهرة أوضح ممّا هو في كتب الصوفية وغيرهم)[٧٧].

وما ذكرناه عن هذا الإمام الجليل نزرٌ يسير في بيان منهج الوسطية.

ثانياً: الإمام ابن القيم رحمه الله:

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرَعي الدمشقي (ت٧٥١هـ)، وهو المحقّق الأصولي والحافظ المفسّر، مولده ووفاته في دمشق، تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الذي هذّب كتبه ونشر علمه، كان يدعو إلى الأخذ بالكتاب والسُّنّة والاعتصام بهما على النّحو الذي فهمه السَّلَف الصالح، مع تنقية معالم الدين الصحيح ممّا داخله من التشويه، ألّف تصانيف كثيرة منها: أعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مدارج السالكين، وغيرها[٧٨].

لقد كان رحمه الله يهدف من تأليفاته إلى بيان خصائص أهل السُّنّة والجماعة، وبيان الصراط المستقيم الذي هو الوسط بين الغالي والجافي،

---

[٧٧] البناني، أحمد بن محمد، موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية، ص١٥.

[٧٨] ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، تح: عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضوت ٢٣٤/١٤.

خصوصًا فيما يتعلّق بصفات الله تعالى وحقوق الأنبياء عليهم السلام، ومعرفة الحلال والحرام، واتّباع السُّنّة، مع بيان ما حادت عنه الملل والفرق، وكان ذا عبادة وتهجّد وطول صلاة وتَأَلّه، ولهج بالذكر وشغف بالمحبة والإنابة، والافتقار إلى الله تعالى والاطّراح بين يديه[٧٩].

وقد سار الإمام ابن القيم على المسلك العلمي الدقيق الذي سار عليه الإمام ابن تيمية رحمهما الله، إذ ألّف كتابه القيم (مدارج السالكين) على كتاب الإمام الهروي رحمه الله (منازل السائرين)، فكان يناقش أقواله بالحجّة والبرهان، وينكر منها ما لا يوافق الكتاب والسُّنّة مع الأدب الجمّ الذي تميّز به العلماء الصالحون.

ومن ذلك قوله: (شيخ الإسلام – يعني الهروي – حبيبٌ إلينا، والحقُّ أحبُّ إلينا منه، وكل مَن عدا المعصوم ﷺ فمأخوذ من قوله ومتروك، ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله، ثم نبيّن ما فيه)[٨٠].

ثمّ يعقب ابن القيم على بعض الأخطاء، ويضعها وأهلها في ميزان الشريعة، ويزن الكلّ بميزان المنصف، إذ يبيّن خطورة هذه الشطحات بكونها أَوْجبت فتنةً على طائفتين من الناس:

إحداهما: حُجبت بها عن محاسن هذه الطَّائفة، وصدق معاملتهم، فأهْدَروها لأَجل هذه الشطحات، وأساءوا الظنّ بهم مطلقًا، وهذا عدوان وإسراف، فلو أنّ كلّ مَن أخطأ تُرك جملةً، لفسدت العلوم والصّناعات، وتعطّلَت معالُمها.

---

[٧٩] ينظر: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، تح وتخريج: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، من مقدِّمة المحققَين ١/١٥ وما بعدها.

[٨٠] مدارج السالكين، ٢/٣٨.

وثانيهما: حُجبت عن رؤية العيوب بما رأوه مِن صدق القوم، وصحّة عزائمهم، فسحبوا عليهَا ذيلَ المحاسن، وأَجرَوا عليها حُكْم القبول والانتصار، وهؤلاء أَيضًا معتدونَ مُفْرِطونَ.

أمّا أَهل العدل والإنصاف فلم يَحكُموا للصّحيح بحكم السّقيم، ولا للسّقيم بحكم الصّحيح، بل قبلوا ما يُقبل، وردّوا ما يُردّ[٨١].

وهكذا كان ابن القيم رحمه الله تعالى في بيان الوسطية ومنهجها الواضح.

ثالثاً: الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله:

هو الشيخ عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دُوست الزاهد الجيلي الحنبلي (ت٥٦١هـ)، صاحب الكرامات والمقامات، ولد في جيلان سنة (٤٧١هـ) وقدم بغداد شابًا، كان إمام زمانه، وقطب عصره، وشيخ شيوخ الوقت بلا مدافعة، فقيهٌ صالح ديّن خيّر، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة، له سمت وصمت، واعظ زاهد عظيم التأثير، تاب على يده خلق لا يُحصون، وبُنيت له ببغداد مدرسة كان يعظ فيها ويدرّس، كراماته جمّة متواترة، عمّر تسعين سنة[٨٢].

---

[٨١] ينظر مدارج السالكين ٢/٣٩-٤٠.

[٨٢] ينظر: الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف ١٢/٢٥٢.

(ولاشك أنّ ثقافته الحنبلية التي تحرص أصولها على ربط الطالب مباشرة بالقرآن والسُّنّة وآثار السَّلَف الصالح أكثر من أيّ مدرسة أخرى قد أثّرت في منهاجه، فسلِم من آثار الفلسفة وعلم الكلام والتفسيرات الصوفية التي تعتمد على الإلهام)[٨٣].

ومن لطائف وصاياه ما جاء في وصيته لابنه عبد الوهاب في مرض موته، فقد قال فيها: (عليك بتقوى الله عز وجل، ولا تَخَف أحدًا سوى الله، ولا تَرجُ أحدًا سوى الله، وكِلِ الحوائج إلى الله عز وجل، ولا تعتمد إلّا عليه، واطلبها جميعًا منه، ولا تثق بأحد غير الله عز وجل، التوحيد التوحيد جِماع الكلّ)[٨٤].

وعُرف عنه شغفه بالنصح وهداية الخلْق، ولكن (لم يمنعه اشتغاله بالوعظ والإرشاد وتربية النفوس من الاشتغال بالتدريس، ونشر العلم ونصر السُّنّة والعقيدة الصحيحة ومحاربة البدع، وقد كان في العقيدة والفروع متّبعًا للإمام أحمد والمحدِّثين والسَّلَف، متمسكًا بالسُّنّة في مسائل الصفات، مبالغًا في الردّ على من خالفها)[٨٥].

---

[٨٣] الكيلان، ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ص١٨٥.

[٨٤] الكيلاني، فتوح الغيب، ص١٧٦.

[٨٥] النَّدوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ص٢٤٤.

وكان الشيخ عبد القادر من أكبر الدعاة إلى إخضاع الطريقة للشريعة، والتمسّك بالكتاب والسُّنّة، وتحكيمها في جميع الأحوال والأقوال والأعمال، وقد استطاع بقوّة شخصيته وبإخلاصه وعلمه القويّ أن يَرجِع بالتصوف إلى ما كان عليه السَّلَف، وكان يقول لأصحابه: (اتَّبعوا ولا تبتدعوا، وافقوا ولا تخالفوا، أطيعوا ولا تعصوا، أخلصوا ولا تشركوا..)[٨٦].

ويقول حاثًّا على التمسّك بالكتاب والسُّنّة والتزام اتّباع الرسول ﷺ: (كلُّ حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة، طِرْ إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسُّنّة، ادخل عليه ويدك في يد الرسول ﷺ، اجعله وزيرك ومعلّمك، دَع يده تُزيّنك وتمشّطك وتعرضك عليه)[٨٧].

وكان كثير التوجُّع لدين الله لما يشاهده من ذلك الانحطاط الديني والخلقي الذي ابتلي به المجتمع الإسلامي، فكان يقول: (يا قوم: الإسلام يبكي ويستغيث، يده في رأسه من هؤلاء الفجّار، من هؤلاء الفسّاق، من هؤلاء أهل البدع والضلال، من الظلَمة، من اللابسين ثياب الزور، من المدَّعين ما ليس فيهم، انظر إلى من تقدَّمك، وإلى من كان معك آمرًا ناهيًا، آكلاً شاربًا، كأن لم يكونوا، ما أقسى قلبك..)[٨٨].

وهذا الشعور الديني بالمسؤولية وعمق التوجع على أوضاع المسلمين لهو دليل واضح على استدامة النهج الوسط في ديدنه بالتزام الشريعة والقياس على أساسها، وتلك هي الوسطية الحقّة.

---

[٨٦] الكيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، ص١٩١.

[٨٧] الكيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، ص١٧٩.

[٨٨] المصدر نفسه، ص٣٧١- ٣٧٢.

رابعاً: الإمام أبو حامد الغزّالي رحمه الله:

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، الإمام زين الدين أبو حامد الطوسي الفقيه الشافعي، حجّة الإسلام (ت٥٠٥هـ)، ولد بطوس ونشأ بها، ثمّ قدم نيسابور ولزم إمام الحرمين أبا المعالي الجويني حتى وفاته، وأُعجب به النظّام فولاه تدريس مدرسته ببغداد، وعظُم أمره حتى غلبت حشمتُه الأمراءَ والأكابرَ، ولزم طريق التزهّـــد ومجاهدة النفس وتهذيب الباطن وكرم الأخلاق، وصنّف في ذلك: إحياء علوم الدين، والأربعين في أصول الدين، والقسطاس، وغيرها، وبرع في الفلسفة ورد على الفلاسفة بكتابه: تهافت الفلاسفة، وتعمّق في الفقه وصنّف فيه: البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة، وله في الأصول: المستصفى، ومحكّ النظر، والمنخول، واللباب[٨٩].

وقد اهتمّ الإمام الغزّالي بالعقيدة الصافية والتجرّد والفهم والنصح والإرشاد، وكان شديدًا على العلماء الذين قيّدتهم الأطماع فيقول فيهم: (فساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حبِّ المال والجاه)[٩٠].

وكان يبيّن النهج المستقيم، وينهى عن التعصب للمذاهب وغيرها، فيقول: (إنّ العقائد التي استمرَّ عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حرّرها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم هي حجاب عن الاستقامة ومعرفة الحقّ)[٩١].

---

[٨٩] ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ٦٢/١١-٧١.

[٩٠] الغزّالي، إحياء علوم الدين ٤٣٠/٢.

[٩١] المصدر نفسه، ٢٨٥/١.

وأكّد الغزّالي على دور العلماء في إصلاح المجتمع، فمن ذلك قوله: (فالعلماء هم أطبّاء الدين، عليهم أن يطلبوا مرضى العقول والنفوس لعلاجهم؛ لأنّهم ورثة الأنبياء... ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان)[٩٢]. وكان الإمام الغزّالي في منهاجه المستقيم يحدّد الأصول التربوية في القرآن الكريم والسُّنّة النبوية، ودلّت مؤلفاته على أنّ منهاجه شمل خمسة ميادين:

الأول: بناء العقيدة الإسلامية الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة.

الثاني: تهذيب النفس والإرادة والارتقاء بالإنسان إلى مقام العبودية لله تعالى.

الثالث: دراسة العلوم الفقهية وما اشتملت عليه من أنظمة ومبادئ.

الرابع: الحكمة والسياسة والإدارة وما يحتاج إليه المجتمع المعاصر.

الخامس: إحياء رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي هي القطب الأعظم في الدين والمهمّة التي بعث الله لها النبيين[٩٣].

وقد عرف العلماء فضل هذا الإمام الجليل فأثنوا عليه ثناءً عاطرًا، وأضرب مثالاً بما نقله الذهبي عن ابن النجار (ت٦٤٣هـ) إذ قال: (الغزّالي إمام الفقهاء، وربانيّ الأمّة بالاتفاق، ومجتهد زمانه، وعين أوانه، شديد الذكاء، قويّ الإدراك، وقال عنه شيخه الجويني: الغزّالي بحر مغرق)[٩٤]، وممّا تقدم يتبين لنا منهج الغزّالي الحق في سلوكه نهج الوسطية.

وما ذكرناه من هذه النماذج قطرة من بحر الأئمّة في هذا المجال الذين دلّت أقوالهم وأفعالهم على السير على النهج الصحيح، فمنهم على سبيل المثال: أبو سليمان الدّارانيّ إذ يقول: تُعرض عليَّ النُّكتة مِن نُكَت القوم، فلا

---

[٩٢] الغزّالي، إحياء علوم الدين ، ٤/٥٠.

[٩٣] ينظر: الكيلان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ص١٤٦-١٤٩.

[٩٤] تاريخ الإسلام ١١/٦٢-٧١.

أقبلها إلاّ بشاهديّ عدلٍ من الكتاب والسُّنّة، ومنهم الجنيد الذي يقول: مذهبنا مُقيّد بالكتاب والسُّنّة، فمن لم يقرأ القرآن، ويكتب الحديث لا يُقتدى به في طريقنا[٩٥].

فهذه أمثلة يسيرة من النماذج التي فهمت مراد الله تعالى، ومنهج النبي ﷺ في التلقّي عنه والعمل بسنّته، وبهذا تتّضح الصورة الحقيقية للتربية المستقيمة، في طبيعة سيرها على الصراط المستقيم، وبُعدها عن الغلوّ في الدين، وعن الجفاء عن المصدرين الأساسيين الكتاب والسُّنّة.

وهكذا كان ربّانيو هذه الأمّة سلامةً في المنهج، وفهماً للأخذ من مصادر الإسلام الأصيلة، وتربية الناس في ضوءها بسياسات حكيمة أنتجت جيلاً ربانيًا تتمثل فيه وسطية الإسلام، وجمال تعاليمه، ونور هدايته، وطريقه المستقيم، ولا شك في أنّ شباب الأمة اليوم إذا ساروا على هذا النهج هم صمام الأمان لمجتمعهم وبلادهم فيما يقدّمون من خير وبناء يعلو به صرح الحضارة عالياً، بعيداً عن الأفكار الضالة الهدّامة التي لا تُبقي ولا تذر.

---

[٩٥] ينظر: ابن القيم، مدارج السالكين ٢/٤٠-٤١.

الخاتمة:

بعد هذا التطواف في عالم وسطية الإسلام أسطّر أهمّ نتائج هذا البحث، وذلك في النقاط الآتية:

١. لم تكن الوسطية أمراً جديداً على هذا الدين الحنيف الذي ارتضاه الله لعباده شرعة وسبيلاً ومنهاجاً ودليلاً، بل هي عريقة الجذور، أصيلة الفكر، قويمة السلوك، وهي وصف هذه الأمّة الوسط بين الديانات والتوجهات والعقائد والأفكار.

٢. تربّى المسلمون على هدي هذه الوسطية المستقاة من كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ، فكانوا أوسط الأمم وأعلاها، وأفضلها وأجلاها، وخيرها وأحلاها، وهكذا يقودون بها ولا يُقادون، ويؤثّرون ولا يتأثّرون، ويتقدّمون ولا يتأخرون.

٣. ينحدر الخط البياني في فهم الإسلام على مدار التاريخ حين يوجد أصحاب التأويلات الباطلة والأفكار المنحرفة، من الذين تطرّفوا في فهم النصوص، أو غلوا في تطبيقها، أو قصّروا وتساهلوا فيها فضلّوا وأضلّوا عن النهج القويم والصراط المستقيم.

٤. لا بدّ من عودة إلى جمال الإسلام بوسطيته المريحة وفهمه كما أراد الله تعالى وكما أرشد إليه رسول الله ﷺ، وسار على ذلك سلف الأمة بسعة إدراكهم، وسلامة مناهجهم، ولطيف نصحهم وتوجيههم، ليكون الجيل الحاضر أقدر وأقوى على حمل رسالة الإسلام وتقديمها على طبق من الأريحية والبناء والعراقة والفضيلة.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الآلوسي: شهاب الدين أبو الفضل السيد محمود البغدادي (ت١٢٧٠هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت.
- أحمد: ابن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (ت٢٤١هـ). المسند، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ٢٠٠٢م.
- الأنصاري: فريد. التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، كتاب الأمّة، قطر، العدد ٤٧، جمادى الأولى، ١٤١٦هـ، السنة (١٥)، مقدِّمة عمر عبيد حسنة.
- البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ). الجامع الصحيح، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ٢٠٠٢م.
- أبو البقاء: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م.
- البناني: أحمد بن محمد. موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
- البيضاوي: القاضي عبد الله بن عمر بن محمد الشافعي (ت٦٩١هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت، د ت.

- أَبو تمّام: حبيب بن أوس الطائي (ت٢٣٢هـ). ديوانه، ضبط معانيه وشروحه وأكملها: إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت.
- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت٧٢٨هـ). مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٩٩٥م.
- الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٧م، ١٣٩٤/٤.
- ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، حقق أصلها: العلّامة عبد العزيز بن باز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- حلمي: مصطفى. ابن تيمية والتصوف، دار ابن الجوزي، الرياض، د ت.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت٢٧٥هـ). السنن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، دت.
- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.

- الرازي: محمد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي الشافعي المعروف بفخر الدين (ت٦٠٦هـ). مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- الرافعي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠هـ). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، د ت.
- الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت١٢٠٥هـ). تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د ت.
- الزركلي: خير الدين (ت١٣٩٦هـ). الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- آل الشيخ: صالح بن عبد العزيز. شرح كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الهداية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.
- الصاوي: صلاح. التطرُّف الديني الرأي الآخر، منشورات الآفاق الدولية للإعلام، ط١، د ت.
- الصلّابي: علي محمد. الوسطية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط١، ٢٠٠١م.
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

- ابن عادل: أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي (ت٧٧٥هـ). اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- ابن عاشور: محمد الطاهر. التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.
- الغزّالي: الإمام أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ). إحياء علوم الدين، المكتب الثقافي، القاهرة، ط١.
- ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن زكريا القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ). مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د ت.
- فرج: عبد اللطيف حسين. تربية الشباب للبعد عن التطرُّف والإرهاب، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ.
- القرضاوي: يوسف. الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرُّف، أنوار دجلة، بغداد، ط١٢، ٢٠٠٤م. الوسطية في الإسلام مفهومها ومظاهرها (مقال في مجلة الأمّة الوسط، ديوان الوقف السني، بغداد، العدد (٥)، السنة الثانية، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م).
- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي (ت٦٧١هـ). الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

- ابن القيم: شمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي (ت٧٥١هـ).
- زاد المعاد في هدي خير العباد، تح وتخريج: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤، ١٩٨٦م. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٧٣م.
- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي ثمّ الدمشقي (ت٧٧٤هـ). البداية والنهاية، تح: عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون، دار المعرفة، بيروت، ط٦، ٢٠٠١م، ٢٣٤/١٤. تفسير القرآن العظيم، دار الجيل، ط١، ١٩٨٨م.
- الكيلان: ماجد عرسان. هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، دار القلم، دبي، ط٤، ٢٠٠٥م.
- الكيلاني: الشيخ عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دُوست الجيلي الحنبلي (ت٥٦١هـ). الفتح الرباني والفيض الرحماني، دار العلوم الحديثة، بيروت، ١٩٨٣م.
- فتوح الغيب، شركة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.
- اللوَيحق: عبد الرحمن بن مُعلّا.
- مشكلة الغلوّ في الدين في العصر الحاضر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.
- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ٢٠٠٥م، من مقدِّمة زين العابدين الركابي، ص أ،ج.

- أبو الليث: نصر بن محمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي (ت٣٧٥هـ). بحر العلوم، تح: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، د ت.
- أبو المجد: أحمد كمال. التطرُّف غير الجريمة (مقال في مجلة العربي الكويتية، عدد ٢٧٨).
- مرزوق: عبد الصبور. مفاهيم إسلامية، مطبوعات وزارة الأوقاف المصرية، د ت.
- مسلم: ابن الحجاج بن مسلم النيسابوري أبو الحسين (ت٢٦١هـ). الصحيح، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ٢٠٠٢م.
- المنّاوي: محمد عبد الرؤوف (ت١٠٣١هـ). فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ضبط وتصحيح: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٩٨٨م.
- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت٧١١هـ). لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، د ت.
- النَّدوي: أبو الحسن علي الحسني. رجال الفكر والدعوة في الإسلام، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٩٩م.
- النووي: الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الشافعي (ت٦٧٦هـ). شرح صحيح مسلم، راجعه الشيخ خليل الميس، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت٢١٨هـ). السيرة النبوية مع شرح أبي ذر الخشني، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد ومحمد بن عبد الله أبو صعيليك، مكتبة المنار، الأردن- الزرقاء، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت٢٧٥هـ). السنن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، دت.